التأليفُ والترجمةُ والتعريبُ والادخالُ

في العصر العباسي

(تتمة ما سبق في الجزء الماضي)

بعض المشهور من المؤلفات العربية

المؤلفات العربية اكثر من ان يحيط بها العد او يحصيها الاستقصاء ، والدليل على ذلك ان بين حين وآخر يظهر كتاب كان في طي الخفاء ، على انه مما يؤسف له ان اكثر ما ألفوه او نقلوه في صدر الدولة العباسية لعبت به ايدي الضياع ولم يبق منه الا جزء يسير كان عماد الاوربيين في نهضتهم الاخيرة لانشاء مدنيتهم التي بهرت الشرق المسكين ! أي عاصمة من عواصم أوربا لا تضم بين دور كتبها العامة مئات من الكتب العربية القديمة ! ليس في اوربا دار كتب الا وجمعت الكثير من عصارة عقول ابناء هذه اللغة المسكينة ! ان اوربا لا تستطيع ان تنكر فضل العربية ولا يدها على المدنية الحديثة إذ جميع اقطابها يقرون ان الجهود التي بذلها العرب كانت الصلة بين عقولهم وبين المدنية الحديثة من اختراع وعلم وفن وعرفان . ولكن هذا ليس من موضوعنا الساعة ولنبين مشهور الكتب فنقول :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه . وهو كتاب طابق اسمه مسماه ، فهو عقد فريد حلّى به جيد البلاغة العربية وجمع فيه من آدابها ما لا غنى لأديب عنه فهو من اجل كتب الأدب العربي وأصدقها خبراً واحسنها ترتيباً وهو استاذ كل متأدب ومرجع كل بليغ وخزانة علوم جمة (٢) الأغاني لابي الفرج الاصفهاني . وهو من كتب اللغة والادب والاخبار والانساب (٣) الكامل للمبرد وهو من كتب الادب واللغة (٤) الأمالي لابي علي القالي ، وهو من كتب اللغة والادب والاخبار وربما امتاز عن كتاب الكامل . (٥) تفسير القرآن لابن جرير الطبري ، وتفسير الفخر الرازي . وتفسير الزمخشري المسمى بالكشاف وهو من خيرة كتب التفسير (٦) كتاب احياء علوم الدين للامام الغزالي سنة ٥٠٥ جمع فيه ما لا يستغني عنه انسان من طلاب الدين او الدنيا وهو من احسن كتب الاخلاق والآداب واظهار حكمة القرآن وبه نظريات عميقة في التربية وعلم النفس لم يهتد اليها العلم الحديث (٧) كتاب ابن سينا المتوفى سنة ٤٢٨ في الطب (٨) مقامات الحريري في الادب وهي تصور لنا شكلاً من شكول النقد في عصرها وهي تكاد تكون اول مثل ضرب للفرنج وهيأ لهم تأليف الروايات القصصية (٩) محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء للراغب الاصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢ وهو خزانة ادب وشعر وفكاهة وحكمة وامثال (١٠) مجمع الامثال للميداني المتوفى سنة ٥١٨ حوى من امثال العرب ما لم يحوه كتاب قبله وفيه شرح جزيل لها . (١١) اساس البلاغة في اللغة للزمخشري وهو معجم لا مثيل له لانه يصوغ كثيراً من الالفاظ اللغوية في جمل بليغة عالية (١٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الاثير المتوفى سنة ٦٣٧ — (١٣) كتاب الفباء لابي يوسف محمد البلوي (توفي في اوائل القرن السابع) فيه كثير من الفوائد الادبية والتاريخية واللغوية وهو سفر نفيس عجيب (١٤) تاريخ ابن الاثير المتوفى سنة ٦٢٠ وهو من اوثق المصادر التاريخية واوضحها واوعاها (١٥) تاريخ مروج الذهب للمسعودي المتوفى سنة ٣٤٦ (١٦) معجم البلدان لياقوت الحموي المتوفى ٦٢٦ — (١٧) معجم الادباء في التراجم لياقوت الحموي (١٨) مطالع البدور في منازل السرور لعلاء الدين البهائي المتوفى سنة ٨١٥ جمع بين الاداب والعلم والتاريخ (١٩) تاريخ ابن خلكان سنة ٦٨١ في التراجم وهو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

انفع كتاب بحث في هذا الموضوع (٢٠) طبقات الاطباء لابن ابي أصيبعة سنة ٦٦٨ ترجم فيه كثيراً من الاطباء واودع كتابه ما راق من اخبارهم مما يدل على تقدم الطب في عصره حتى ان الاطباء يترجم لهم كالشعراء (٢١) صبح الاعشى وهو دائرة معارف لشهاب الدين القلقشندي سنة ٨٢١ جمع فيه ما استطاع من الأخبار والادب والفنون والصناعة الكتابية (٢٢) مقدمة ابن خلدون في سياسة العمران وعلم الاجتماع وغيرهما . وهناك كتب اخرى لا عد لها ولا حصر واني اؤكد ان في طي الخفاء العدد الكبير من الكتب القيمة التي لا يستهان بمباحثها فقد ذكر لي صديق انه رأى اكثر من كتاب في علم الفراسة بخط اليد في دار الكتب بمدريد عاصمة الاسبان واكّد لي انه رأى كتباً كثيرة بمكاتب رومة والقسطنطينية وخصوصاً مكتبة الخلافة العليا وهذا كله معقول اذ اننا لا ننسى فترة الضعف التي استولت على اللغة وعلى اهلها بعد اكتساح المغول ولا ننسى ان العلماء في ذلك العصر لضعف نفوسهم كانت تتقرب الى اعتاب الخلفاء وبقدم الكتب القديمة زلفى وقرباناً كأنها من العاديات التي تحفظ في طي الخفاء ! !

التعريب والادخال

التعريب — نقل الكلمة من اللغة الاعجمية الى اللغة العربية . والمعرّب = الكلمة التي نقلت من لغة اجنبية الى اللغة العربية .

والدخيل — كل كلمة دخلت لغة العرب واستعملها الناطقون بها وليست في الاصل منها .

والمعرّب والدخيل وان كان معناهما واحداً الا انه قد يخص لفظة (معرب) بالكلمة التي نقلتها العرب التي يعتد بها ويحتج بكلامها (اي الى آخر عصر بني أمية) . ولفظ (الدخيل) او المولد بالكلمة التي نقلتها الى اللغة العربية على السنة المحدثين ابتداء من العصر العباسي . كما قد يطلق لفظ دخيل او مولد على الكلمة التي استعملها المحدثون ولم تستعملها العرب وان كان اصلها عربياً (مثل شبابة من شبّ) . واللفظ المعرب قد ينقل الى اللغة العربية بدون تغيير فيه وذلك قليل ، وقد يلحقه التغيير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

غالبًا ، وقد يلحق ببناء كلامهم واوزانه وهذا اكثر وقد لا يلحق بها .

ولقد كان من جملة محاسن العرب وعنايتها بلغتها ان اهتمت بسعة نطاقها وزيادة ثروتها فاستعارت من لغات الامم التي اختلطت بها ما يعوزها من الالفاظ للدلالة على مسميات ليست عندهم . واكثر ما كان تعريبهم عن الفرس لكثرة اختلاطهم بأهلها وقرب جوارهم منها . وقد نقلوا عن غيرها من اللغات كالرومية والمعرب منها اكثر في اللغة العربية حظًا بعد الفارسية . وكالسريانية والعبرية والعثمانية والهندية

ليس النقل والإدخال من لغة الى لغة بعيب او عار وانما العيب والعار ان تقف اللغة عند حدها لجمود يصيب ابناءها وضعف يأكل في عزائم بنيها فعم العيب والعار ان تصبح اللغة غير كافية للتعبير عن مقاصد الحياة المستحدثة التي توجبها سنة التقدم والارتقاء . ولقد شعرت بذلك امم اوربا المتمدنة فها هو المجمع العلمي الانكليزي (المجمع اللغوي) يزيد كل عام مئات من الكلمات المستحدثة ويُقرها لتتداول بين الالسنة والاقلام . واللغة الانكليزية كما هو معلوم ليست باللغة الاهلية المحضة كاللغة العربية مثلاً ولكنها لغة مولدة من اللاتينية والاغريقية والسكسونية وبعض الفرنسية والجرمانية واللغات الاخرى كالهندية والعثمانية والعربية .

قلنا انه من جملة محاسن العرب وعنايتها بلغتها ان اهتمت بسعة نطاقها وزيادة ثروتها ويمكننا ان نقول ان ما دخل العربية من اسماء المعبودات والمصطلحات الدينية معرب من اللغة الهيروغليفية والحبشية والعبرانية كلفظ (نبي) وهو هيروغليفي ومعناه في الاصل عميد الاسرة او رب المنزل و (فرعون) ومعناها في الاصل بيت الاله او مقر الروح وهي هيروغليفية . ولفظ (كاهن) عبري وكذلك (آمين) ولفظ (منبر) . واما اسماء العقاقير والاطياب والجواهر فاكثرها هندي كلفظ (مسك) فانه في اللغة السنسكريتية (مشكا) ولفظ (زنجبيل) فانه فيها (زنجابيرا) ولفظ (فلفل) فهو فيها (بيبالا) او (تيفالا)

واكثر ما يكون من اسماء الاطعمة والفرش والثياب والاسلحة والادوات من الفارسية كالخز والديباج والخوذة .

ومما هو جدير بالذكر ان العرب لم تعدُ فيما عربته حد الضرورة ولم تتجاوز به

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مقدار الحاجة فكان هذا النوع في لغتها قليل النماء بادي الاضمحلال .

ومن المعرب كلمات معدودة استعملتها العرب ولا رديف في لسانهم لدقة دلالتها على المعنى المراد او لخفتها على اللسان او السمع (كالابريق) وهو بالعربي (تامورة) (والمسك) وهو (مشموم) و (الجاسوس) وعربيته (ناطس) و (ورد) وهو عندهم (حوجم) و (ناي) وعربيته (زمخره) (وياسمين) وعربيته (سجلاط) و (خيار) وعربيته (فتد) وغير ذلك كثير ومعروف .

واكثر من كان يستعمل المعرب في الجاهلية من الشعراء وغيرهم من يشتد اختلاطه بالفرس او غيرهم لمجاراة او تجارة او نكتة او لتظاهر بمعرفة لغة غريبة (كما ذكر حضرة الاب المحترم انستاس مارية الكرملي في مقاله البديع في العددين الاول والثاني من مجلة المجمع الموقر) كالأعشى وأمية بن ابي الصلت وعدي بن زيد .

وقد وقع المعرب في القرآن الكريم وان انكره بعضهم مثل الامام الشافعي ولكن ذلك لا ينفي كونه عربياً مبيناً لان المعربات فيه قليلة لا تخرجه عن كونه — قرآناً عربياً مبيناً — مع انها وان كانت اعجمية الاصل فقد صقلتها العرب بالسنتها وحولتها عن الفاظ العجم الى لغتها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد امتزجت هذه الكلمات بكلام العرب وصارت منه فهي اعجمية الاصل عربية الحال والاستعمال .

هذا الى ان المعتبر كون القرآن على اسلوب كلام العرب ونظمهم ولا يضر في ذلك ان بعض كلماته غير عربية اذا كانت متداولة بين العرب مفهومة المعنى عندهم ومن الالفاظ المعربة فيه (استبرق ، سجيل ، مشكاة ، قسطاس ، قسورة ، سندس ميسأة ، يم ، فردوس ، حصب ، سريّ)

ومن الالفاظ المعربة ، كاغد ، فولاذ ، ساذج ، سريد ، قاموس ، جلنار ، عنبر ، دهباج ، صندل ، صك ، جورب ، مغنطيس ، طنفة ، ياقوت ، آجر ، فيروز ، زبرجد ، فندق ، موسيقى ، جزافا ، بطاقة ، قنطار ، بنفسج ، ترياق ، برنامج ، قنطرة ، خندق ، قرنفل ، كافور ، طور ، لجام ، سرداب ، سكر ونحوها ومعظم الاشياء التي لا تكون في البادية يغلب ان تكون اسماؤها أعجمية كادوات البنائين والنجارين والصناع .

وكانوا ينحون في ذلك منحى العرب ويتصرفون في الاسماء المعربة بالتغيير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والابدال والحذف حتى تلائم الذوق العربي وتسمى هذه الكلمات مولدة او دخيلة واني استحسن اطلاق اللفظ الاول ومن هذه الكلمات : نموذج ، فلسفة ، كيمياء ، تخمين ، شمس ، اسطرلاب ، ترياق ، اسطول ، شبّابة ، شطرنج ، كهرباء ، هيولى ،

***

ولم يكد ينقضي عصر التعريب العلمي عند العباسيين بعد ان دالت دولتهم وتراخت الهمم حتى استعجمت اللغة وطم الدخيل على المنطق لان الذين تولوا امر التعريب يومئذ انما هم الصناع والمحترفون لا الكتاب والمؤلفون والاندية العلمية والمجامع اللغوية ، كما لا يزال العامة الآن ينقلون من لغات الاعاجم ما نحن في غنى عن اكثره وجاراهم في استعماله من على شاكلتهم من جهلة المستعجمين والمستغربين

والصحيح من المعرب ما وقع في القرآن او الحديث او الشعر القديم او كلام من يوثق بعربيته ولا بأس من استعمال ما عربه المحدثون في الدولة العباسية وكثر في كلامهم . اما غير ذلك فمنعه بعضهم مطلقاً واجازه بعضهم مطلقاً ، ونرى ان يكون الامر جداً وسطاً . فان كانت الكلمة الدخيلة المولدة مما يمكن ان يستغنى عنه اهملنا استعمالها بما يسد مسدها من اللغة العربية والا اضفناها الى لغتنا مراعين في ذلك الفائدة والقصد والاعتدال

مصر (العباسية) محمود المنجوري

قال ابن خفاجة الاندلسي في وصف (نهر) :

متعطف مثل السوار كأنهُ والزهر يكنفهُ مجرٌ سماء
قد رقّ حتى ظن قرصاً مفرغاً من فضةٍ في بردةٍ خضراء
وغدت تحف به الغصون كأنها هدبٌ يحفُّ بمقلةٍ زرقاء
والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net